طروحات مستكتبة، ندوة عمارة المساجد، م ١٠ أ، ص ص ١-٤، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

حَوليّات التوسعة السعودية الأولى للحرم النبوي الشريف

مصطفى مؤمن

مؤمن – مهندسون استشاريون

القاهرة، جمهورية مصر العربية

ملخص البحث: يستعرض المؤلف المراحل المختلفة للتوسعة السعودية الاولى للحرم النبوي الشريف. و كمشارك في بعض هذه المراحل، يلقي المؤلف الضوء على التحضيرات التي تمت و الجهد الذي بذل في تنفيذ مراحل التوسعة. ينهي المؤلف باستعراض مساحات التوسعة، الاعمال التي نفذت و التكلفة المادية للاعمال.

المقدمة

إبان العام الهجري السبعين وثلاثمائه وألف، ملاحقاً ومواكبا العام الميلادي الخمسين وتسعمائة وألف، وبينما تنقل أمواج الأثير أخبارها عن وصول معالي وزير التموين والزراعة المصري أحمد حمزة باشا إلى جدة حاملاً معه رسالة من صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس باشا الى جلالة العاهل السعودي الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية طيب الله ثراه. و يعتبر هذا اللقاء بداية لإيفاد بعثة فنية لدراسة أول مشروع توسعة للحرم النبوي الشريف و يعتبر هذا هو الحولية الاولى.

الحولية الثانية

على الفور، قامت البعثة بمباشرة المهام في المدينة المنورة والمسجد النبوي الشريف وبعض البيوت المحيطة به ورفعت مرئياتها إلى جلالة العاهل السعودي الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن، طيب الله ثراه، والذي شكر أعضاء البعثة وكلف المعماري فهمي مؤمن ذي اليد الذهبية -كما كان يلقب- بإعداد ثلاث بدائل التوسعة السعودية الأولى.
اختار جلالته البديل الذي أعده فهمي مؤمن، احد اعضاء مكتب "مؤمن - مهندسون استشاريون، القاهرة"، في ذي القعدة عام ١٣٧٠ هجريا وكانت تلك بداية مسيرة علاقتنا مع اعمال التوسعة. ازدادت هذه العلاقة عمقا مع تكليف مكتبن مؤمن باعمال اضافية اخرى.

الحولية الثالثة

وفي الوقت الذي كانت فيه تدفع التعويضات السخية لأصحاب العقارات المحيطة بالحرم النبوي الشريف منذ اليوم الخامس من شوال ١٣٧٠ هـ كانت قد اعتمدت خطة البدء بهدم المنطقة الشمالية التي ضمت:

١- الحصوة والأروقة ذات الأقبية والأعمدة بصفين في الناحية الشمالية والشرقية والغربية وبثلاث صفوف في الناحية الشرقية.

٢- المآذن الثلاث القديمة والتي كانت تجاور الباب المجيدي، والمئذنة التي كانت تسمى (التشكيلية) في الجهة الشمالية الغربية و "الرحمانية" والتي كانت خارج الحرم غير بعيد من باب الرحمة.

٣- الكتاتيب، وهي المدارس الصغيرة لتحفيظ القرآن، وكذا مكتبة الحرم التي كانت تعلوها و التي شيدها السيد أحمد ياسين الخيارى عام ١٣٥٧ هجرية.

٤- "الباب المجيدي" و الذي أُزيل بأكمله ومخازن الزيت وكذا جميع البيوت التي كانت قائمه وتتاخم أو تجاور حدود الحرم الشريف. و قد تم تسوية الأرض وأُزيلت منها كافة المخلفات وحضر ولى العهد السعودي جلالة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله ووضع حجر الأساس (Corner Stone) للتوسعة في صلاة ظهر يوم ١٣٧٢/٣/١٣هـ الموافق ١٩٥٢/١١/٢٠م. وفى ذلك اليوم كان العاهل السعودي الراحل/سعود بن عبدا لعزيز يتأسّى برسول الله ﷺ ويحمل الأحجار على كتفيه مرتين ويضع (٤) لبنات في الحائط الغربي وكأنه واحد من عمال - بل عمّار - الحرم النبوي الشريف. ونشرت وكالات الأنباء الخبر في ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ:

(A.P–Reuter) King Saud Followed the Same Steps of Prophet MOHAMMAD (P.B.U.H) who participated also two times in the erection of his original eldest Mosque in the globe. This happened fourteen centuries ago in the first year of the hijra Calender !!

الحولية الرابعة

اقيمت للتوسعة السعودية الأولى ورشاً للرخام والجرانيت بعد الكيلو (١٧) كم من (المدينة المنورة - جدة) ومصنعاً لأعمال النحاس وورشاً للأبواب والشبابيك في العاصمة المصرية القاهرة.

و قد تناقش المقاول الراحل "محمد بن عوض بن لادن"، وبعد أن حصل على لقب "صاحب المعالي"، مع المعماريين فهمي ومصطفى مؤمن بامور التوسعة و توجه بصحبة أولهما إلى محاجر كرارا بإيطاليا حيث اتفقوا على استقدام ما يربو على سبعة عشر عاملاً من المتخصصين والفنيين في النحت الرخامي والجرانيت ليقيموا في معسكر خارج حدود المدينة المنورة بمسافة (١٧) كيلو مترا، ولمدة سنة كاملة قابلة للتجديد، حتى يتموا جميع أعمال الرخام والجرانيت. وكان المعماري فهمي يلاحقهم تباعاً ويقدم لهم الخرائط التنفيذية بمقياس رسم طبيعي (١: ١) أو (١: ٢) تفادياً لأية أخطاء أو انحرافات. وفى هذا الوقت ذاته، كان مؤلف هذه الورقة يقوم بالإشراف على ورشه نحاس زخرفيه في شبرا و التي كان يديرها المهندس عبد العظيم شاهين. و قد أنجز في هذه الورشة تصنيع جميع الثريات النحاسية (الكابولية) الشكل، وعددها (٩٨) ثريا، وسائر الكسوة النحاسية للأبواب الخشبية والنوافذ والأعمدة الجديدة (قواعدها التحتية وتيجانها العلوية). وعند إتمام تلك الأعمال، أقيم حفل مهيب في حديقة مقر المؤتمر الإسلامي الأول بحي الزمالك بالقاهرة بحضور كل من الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز آل سعود والرئيس المصري الراحل محمد أنور السادات لعرض أبواب الحرم. و قد عرضت هذه المصنوعات على مئات الألوف من الجماهير المسلمة و التي اجتمعت لتشاهد المصنوعات و لتحية كلاً من الملك فيصل آل سعود،

وكان وقتها ولياً للعهد، والرئيس السادات، وكان وقتها أميناً عاماً لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والذي قرر تسيير مواكب حاشده لتوديع هذه الأبواب التاريخية في ميناء "السويس" قبل إبحارها لميناء "ينبع" في الجانب الشرقي من البحر الأحمر. وقد حرر الرئيس الراحل محمد أنور السادات مقالا افتتاحياً بجريدة الجمهورية أشاد فيه بتصميم التوسعة السعودية الأولى للحرم النبوي وأثنى على المهندس المصري الذي صممها وأشرف عليها وعلى العامل والصانع المصري الذي نفذها.

الحولية الخامسة

ولعل أغرب ما استوقف نظرنا في التأمل المعماري عند قيامنا بأعمال المساحة والرفع للحرم هو وجود بعض ألاعمدة الموزعه توزيعاً غير هندسيا مع وجود مسافات بينها غير متساوية أو متجانسة. وحاولنا أن نجد تفسيرا لهذا العمل الذي أتاه المهندسون الأتراك القدامى الذين شيدوا البناء الحالي منذ أربعة قرون. إن شيئا كهذا لا يمكن أن يفوتهم و كان لابد من تعليل أو توجيه. وأخيراً وقفنا على حقيقة اسباب هذا التوزيع، فقد أصدر الخليفة التركي حينه أوامره بابقاء عناصر معمارية ومن بينها جذوع النخل التي كانت تشد سقف المسجد أيام رسول الله. وقد تم الحفاظ على ثلاثة جذوع سميت جذوع التوبة خلدها الكتاب الكريم لان أبا لُبابه ﷺ ربط نفسه بها وقصته ترويها كتب السنة. إن العمارة الإسلامية ليست جمالاً وهندسة فحسب إنها تاريخ ايضا.

الحولية السادسة والأخيرة

قام خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود، لدى وضعه اللبنة الأخيرة في التوسعة الجديدة، قرارا ملكيا يقضي بـ: "أن تكون جميع التوسعات المستقبلية للحرم النبوي الشريف على ذات النسق والطراز الذي تمت به التوسعة السعودية الأولى وبنفس المفردات المكونة له"، بدءا من وحدة القياس (Module) والعقود والأعمدة بقواعدها وتيجانها وثريات الإضاءة "الكابولية"، حتى الأبواب الخشبية وزخارفها النحاسية و النوافذ والمآذن العالية. كما يظهر الحرم بكل مكوناته المتماثلة وتوسعاته المستقبلية وكأنه صرحٌ واحدٌ شُيِّد في وقتٍ واحدٍ، لكنه لكل العصور والأزمان. أو ليست هذه المقولة بل المنظومة عن الحرم النبوي الشريف معجزةً غَيْرَ ذَاتِ نظيرٍ في عالم البناء !!

الحولية الرقمية

المساحة

ولعل مسك الختام أن نورد هذه الإحصائيات. فالأرقام كما يقولون "لا تعرف زيفاً ولا خداعاً"

- بلغت مساحة التوسعة السعودية الأولى في الجهة البحرية (الشمالية): ٦٠٢٤ متراً مربعاً
- مساحة الأجزاء القديمة التي أُعيد بناؤها أو ترميمها في الجهات الثلاث الأخرى: ٦٢٤٧ متراً مربعاً
- أما مساحة الجهة القبلية (الجنوبي) وفيها المنبر والمقصورة وبقيت على حالها: ٤٠٥٦ متراً مربعاً

- فتكون المساحة الكلية للحرم النبوي بعد التوسعة السعودية الأولى: ١٦٣٢٧ متراً مربعاً
(فقط ستة عشر ألفاً وثلاثمائة وسبعة وعشرين متراً مربعاً)

المكونات المعمارية ومفرداتها الزخرفية

استعملت عناصر كثيرة في التوسعة. تشمل هذه عقودا و اعمدة و ثريات وابواب و فوانيس وغيرها. يلخص الجدول التالي اعداد هذه العناصر و التي استخدمت في التوسعة.

المكونات المعمارية	العدد
العقود ونسبها المميزة (Arcades)	٦٨٩
الأعمدة الدائرية وقواعدها النحاسية الزخرفية	٢٢٢
الأعمدة الدائرية وتيجانها النحاسية الزخرفية	٢٢٢
الفوانيس النحاسية البلورية التي تعلو الأعمدة على شكل كابولي	٩٨
الثريات أو القناديل النحاسية المعلقة بأسقف البواكي	١٤
الأبواب الخشبية المكسوة بالنحاس المصوب وخردواتها	٩
النوافذ النحاسية للجدران وشرائح الزجاج الملون	٤٤

وقد نفذت تلك المكونات ومفرداتها الزخرفية بالعاصمة المصرية. فالأبواب تم تصنيعها في ورشتين أولاهما بشارع القصر العيني وصاحبها الحاج أحمد إبراهيم، والثانية بمنطقة زينهم بشارع زين العابدين وصاحبها الحاج سيد إبراهيم وهما شقيقان ورثا المهنة ودقائقها وأسرارها أبا عن جد. أما الأعمال النحاسية الصب والشرائح الزخرفية كلها عملت بورشة المهندس عبد العظيم شاهين بحي شبرا بشارع عمر شاهين.

Annals of the First Saudi Expansions of the Prophet's Mosque

Moustafa Mo'men
Mo'men, Consultants
Cairo, Egypt

Abstract: The author reviews the annals of the first Saudi expansion of the Prophet's mosque in Al-Madinah. As a participant in some of the expansion stages himself, the author sheds the light on the preparation and on the effort spent in executing the work. The paper concludes with a presentation of work achieved and the cost incurred.